رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

خطة مثالية – فما الذي حدث؟ (رومية ١٠: ١٤–٢١)

تأليف: دفيد روبر

هل قمت بوضع خطة ما من قبل- خطة تبدو متكاملة – ومن ثم لم يتم إنجازها؟ ربما لم تستطع الحصول على المواد المطلوبة. أو ربما كنت تتوقع مساعدة من آخرين، ولكنهم أخفقوا في القيام بدورهم. أو ربما اكتشفت انك لم تكن قادر على عمل ما خططت أن تعمل. أني أخطط دائماً؛ ولكني عادة أجد أن خطتي المبدئية (الخطة – أ) لا يمكن عملها. ومن ثم عليَّ الرجوع إلى (خطة – ب، أو خطة – ج، أو خطة – د).

نرى حتى الآن في دروسنا هذه أن بولس يضع التوكيد مراراً وتكراراً على أن التبرير يتم على أساس الإيمان – ولكن ما هو تسلسل الأحداث التي تنتج الإيمان. قدم بولس في الجزء الأخير من الأصحاح ١٠ من الرسالة إلى أهل رومية موجز لخطة الله لبث الإيمان في قلوب الناس. بما انها خطة الله، فانها بالضرورة خطة كاملة {أي مثالية}. يقودنا هذا إلى السؤال: إذا كانت هذه الخطة تتسم بالكمالية، لماذا لا يؤمن الجميع؟ الإجابة هي أن هذه الخطة بها عامل بشري. خطة الله هي خطة كاملة ولكنه لا يجبر أحد على قبولها. يمكن للناس أن لا يقبلوها.

تحدث بولس بصفة خاصه في نص درسنا هذا عن عدم قبول اليهود لخطة الله. ولكن عند دراستنا لهذا النص، لا يجب أن نحصر تفكيرنا بإسرائيل فقط. توجد في هذه الآيات دروس تنطبق علينا.

لله خطة (١٠: ١٤–١٧)

خطة متكاملة (الآيات ١٤– ١٧)

انتهى القسم السابق من رومية ١٠ بالعبارة التالية: «لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ. لأَنَّ: كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (الآيتان ١٢ و١٣). قدم بولس (عكسياً) موجز الترتيب الذي وضعه الله مبتدئاً بالحاجة إلى الدعاء باسم الرب: «فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟ ...» (الآيتان ١٤ و١٥). الإجابة المتضمنَة في كل من هذه الأسئلة هي «انهم لا يستطيعون». تبع بولس هذه الأسئلة المتسلسلة بالكلام التالي:

> ... كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ». لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ، لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ: «يَارَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟» إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ (الآيات ١٥–١٧).

نجد في الأصحاح العاشر من الرسالة إلى أهل رومية العناصر الأساسية لخطة الله لخلاص البشر. لننظر للحظة في ما تتطلبه هذه الخطة. سنستخدم الآيتين ١٤ و١٥ بصفة أساسية كالموجز، ولكننا سنقدم الترتيب العكسي لهذا النص، لكي نقدم المتطلبات حسب الترتيب الكرونولوجي.

(١) تبدأ خطة الله بمأمورية إلهية: ورد في مقدمة الآية ١٥ ما يلي: «وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟» نستخدم هذا الاقتباس عادة في صلة مع جهود الإرساليين. «كَيْفَ يَكْرِزُونَ {في مجتمعات ما} إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا {من قبلنا}؟» هذا استفهام معقول وهام، ولكن هذا ليس القوة الدافعة الأساسية للسؤال الذي طرحه بولس. لقد وضع التوكيد على انه ليس لليهود عذر لأن الله قد وضع كل ما يحتاجون إليه من التدبير لخلاصهم. كان معنى هذا السؤال في هذا السياق هو «كَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا {من قبل الله}» – لم تكن لديهم مأمورية إلهية؟».

الكلمة المترجمة هنا إلى «يُرْسَلُوا» هي من اليونانية «أپوستلو ἀποστέλλω». وهي الصيغة الفعلية لكلمة «رسول»، ومعناها «الشخص الذي أُرْسِل». كان بولس والرسل الآخرين قد نالوا مأمورية خاصة من الرب ليذهبوا ويكرزوا بالإنجيل. ولكن كلمة «أپوستلو κηρύσσω» لا تقتصر على هؤلاء القليلون فقط. لدينا نحن أيضاً مأمورية إلهية لنذهب ونكرز بالإنجيل. ولا يأتي هذا من خلال رؤيا ما، ولا من «صوت منخفض خفيف» (راجع ١ ملوك ١٩: ١٢)، بل هي مكتوبة:

> فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ. (متى ٢٨: ١٨-٢٠).

عندما نكرز الإنجيل للضالين نفعل هذا بتأييد وسلطان الرب نفسه.

(٢) العامل الثاني في خطة الرب هو الكرازة بالإنجيل. عندما نرجع إلى الوراء في النص الذي نحن بصدده، نقرأ ما يلي: «... وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟» (رومية ١٠: ١٤). هذه أحدى نصوص العهد القديم التي تضع التوكيد على أهمية الكرازة (راجع ١ كورنثوس ١: ٢١). قال بولس لتيموثاوس:

> أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذًا أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ: **اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ**. اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ (٢ تيموثاوس ٤: ١ و٢).

ينبغي أن نعرف أن الكلمة اليونانية المترجمة في رومية ١٠: ١٤ إلى «كارز» لا تقتصر على الشخص الذي يقف على منبر الوعظ في يوم الأحد أو في أي مناسبة أخرى. هذه الكلمة هي «كروسو κηρύσσω»، ومعناها «المنادي/ البشير/النذير». والمعنى الأساسي لكلمة «المنادي/ البشير/النذير» له صلة وثيقة بفكرة «إرسال». كان يعطى للبشير في القرن الأول الميلادي رسالة من قبل شخص له سلطة، والذي يرسله لتوصيل تلك الرسالة. كان البشير يذهب إلى القرى ينادي يبشر كل من يلاقيه بالرسالة التي يحملها (سواء كان ذلك لجماعة قليلة من الناس عند مفترق الطريق في الريف، أو إلى حشد في السوق بمدينة مزدحمة). في الواقع، المأمورية الكبرى التي أوصى بها الرب ترسل كل مسيحي لينادي بالإنجيل. ينادي البعض بهذه الرسالة في الأماكن العامة، وينادي بها البعض الآخر في الأماكن الخاصة، ينبغي لنا جميعاً أن نبشر به.

ليست القوة في البشير، بل في الرسالة التي ينادي بها. ما هي تلك الرسالة بما يختص بخطة الله؟ لا تخبرنا الآية ١٤ عن تلك الرسالة، بل تخبرنا بها الآيات التالية. تقول الآية ١٦: «لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ». الإنجيل هو الخبر السار عن يسوع (راجع ١ كورنثوس ١٥: ١-١٤).

تسمي الآية ١٧ هذه الرسالة بكلمة الله[١] {أو «كلمة المسيح» كما وردت في أقدم المخطوطات اليونانية الأكثر اعتماداً}. وقد يشير هذا إلى الكلمة التي كرز بها المسيح أو الكلمة التي عن المسيح. قد تشمل الكلمة التي عن المسيح حقائق كالمذكورة في الآية ٩: انه رب، وقد أقامه الله من الأموات. ربما جمع بولس هذه المفاهيم في العبارة «كلمة الله/كلمة المسيح»: الكلمة التي يكون فيها المسيح المحتوى والمؤلف[٢].

بغض النظر عن الكيفية التي يتم بها تفسير عبارة «كلمة المسيح»، قال بولس لأهل غلاطية: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ...» (غلاطية ٦: ١٤). وقال لأهل كورنثوس: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» (١ كورنثوس ٢: ٢). لا يعني هذا أن بولس لم يكرز عن أي موضوع آخر غير الصليب. بل

---

[١] وردت في ترجمة فانديك (الترجمة العربية المألوفة والأكثر تداولاً) عبارة «كلمة الله»، بينما وردت بأقدم المخطوطات اليونانية الأكثر اعتماداً عبارة «كلمة المسيح». إن شئت أن تسوي بين هاتين الترجمتين يمكنك أن تعتبر هذه الكلمة بانها كلمة الله عن المسيح.

[٢] جيمس دي جي دوون في قاموس الكتاب المقدس بعنوان «Romans 9-16, Word Biblical Commentary, vol. 38b»، صفحة ٦٢٣.

هذا يعني أنه لم يعرف شيئاً إلا ذو صلة مع الصليب؛ولا شيء بالمقارنة مع الصليب.

ينبغي للذين يعلمون ويبشرون (ويجب أن يشمل هذا جميع المسيحيين) أن يتعلموا من بولس. إن كنا سنبث الإيمان في قلوب مستمعينا لا ينبغي أن نهمل التعليم والتبشير عن المسيح وصلبه. إن لم تكن تلك القصة القديمة في قلب رسالتنا لا تكون هذه الرسالة رسالة الإنجيل.

قال بولس إن كنا نخبر الآخرين بالخبر السار {البشارة}، يكون عضوين من أعضاء جسدنا جميلان. قد نعتبر أن وجوهنا غير جذابة، أو أن أجسادنا تفتقر إلى الكمالية؛ ولكن بولس قال أن أرجلنا جميلة: «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «... مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ!» (الآية ١٥). اقتبس بولس هنا مَن إشعياء ٥٢: ٧ والذي كان يشير إلى الذين سيحملون إلى يهود السبي الخبر السار {البشارة} عن اطلاق سراحهم من سبي بابل. طبق بولس هذه الكلمات على الذين يبشرون الضالين بالخبر السار انه سيُطلق سراحهم من عبودية الخطيئة.

عندما كنتُ صبياً كان يحيرني كلام بولس الوارد في رومية ١٠: ١٥. أولاً، الأرجل[٢] هي من أعضاء الجسم الأقل جاذبية. ثانياً، معظم المبشرين الذين أعرفهم لهم أقدم كبيرة جداً بحيث لا يمكن لأحد أن يصفها بالجمال. وفي ما بعد تعلمت عن فكرة البشير: الشخص الذي يسير من مكان إلى آخر بالخبر. عندما يأتي البشير بالخبر السار قد يكون حذاءه وسخ، ومهتريء، وناشف ، وحتى كريه الرائحة. ولكن قد نقلته تلك الأقدام إلى مستمعيه. إذن كانت تلك الأرجل جميلة بالنسبة لهم. {تقول الترجمة العربية الجديدة في الآية: «ما أجمل خُطوات المبشرين بالخير»}.

(٣) عامل آخر في خطة الله للخلاص هو الاستماع بالفهم والقبول. ولكن عند الرجوع أيضاً إلى النص الذي نحن بصدده، نجد السؤال التالي: «... وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟» (الآية ١٤). للمبشر مسؤولية الكرازة بالإنجيل، ولكن الذين يبشرهم لهم مسؤولية أيضاً. ينبغي أن يسمعوا. تقول الآية ١٧ ما يلي: «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله». المثال الذي قدمه يسوع عن الزارع يضع التوكيد على أهمية أن يكون الشخص مستمع منفتح لقبول الإنجيل (متى ١٣: ٣-٩، ١٨-٢٣).

كتب بولس هذه الرسالة في الزمان الذي لم يعرف فيه الكثير من الناس القراءة. علاوة على ذلك، كانت المخطوطات المنسوخة باليد غالية أكثر مما ينبغي بالنسبة للإنسان العادي. إن لم يكن الناس قد سمعوا الخبر السار، لما تعلمه معظم الناس. يستطع الكثير من الناس أن يقرأوا في يومنا هذا، إذاً يأتي الإيمان أيضاً بواسطة قراءه كلمة الله (راجع يوحنا ٢٠: ٣٠ و٣١). ومع ذلك، ولكن ما زال لسماع الكلمة تأثير مقدَّر. أضيف تأثير المبشر لقوة الإنجيل (راجع رومية ١: ١٦) والذي بدوره يؤكد أن ما قاله الله هو حقيقة.

الكلمات اليونانية لـ«يسمعوا» و«يسمعون» في الآيتين ١٤ و١٨ هي صيغ مختلفة لكلمة «أكوو ἀκούω». كلمة «يسمع» في هاتين الآيتين لا تشير فقط إلى العملية التي بها يتم تسجيل الكلام في ذهن المستمع. يدل السياق إلى انها تشير إلى الاستماع بالفهم والقبول. عندما تحدث يسوع عن الذين لم يقبلوا تعليمه، قال انه برغم انهم سمعوا كلامه إلا انهم لم يسمعوه ويفهموه (مرقس ٤: ١٢).

قبل ان نترك هذا الجزء من خطة الله، لنذكر تفسيراً مثير للسؤال الذي طرحه بولس. أنظر إليه مرة أخرى: «... وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟» (١٠: ١٤) من المحتمل أن بولس قصد أن يقول: «وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا **عنه**؟»، ولكن تُعتبر عبارة «وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به» هي الترجمة الأقرب إلى المعنى الحرفي للنص اليوناني. ربما كان بولس يقصد الحقيقة انه عندما نكرز بـ«كلمة المسيح» يكون ذلك بمثابة المسيح يكرز بواسطتنا. عندما أرسل يسوع تلاميذه في رحلة تبشيرية، قال لهم: «اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي ...» (لوقا ١٠: ١٦). كتب جيم مكويقن ما يلي:

> المسيح هوالذي يتوسل إلى الناس بواسطة الذين يرسلهم ليتصالحوا. أليس هذه فكرة لا تُصدق؟!

[٢] الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «أرجل» معناها «أقدام».

> ألا يعطي هذا كرامة (كلا، بل وأكثر من كرامة! بهاء مروعة) للمأمورية الموصى بها؟! في الكرازة الحقيقية يتوسل المسيح إلى الناس ليثقوا فيه[٤].

(٤) حسب خطة الله، الإستجابة إلى رسالة الإنجيل هي إيمان مطيع. ينقلنا هذا إلى السؤال الأول في النص الذي نحن بصدده: «فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ ...» (الآية ١٤). يقول بولس في الآية ١٧: «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله». إذا استمعنا بحرص إلى الإنجيل بقلوب مخلصة {أمينة} (وليس كتمرين فكري فحسب، يكون الإيمان هو الناتج. يعود بنا هذا مرة أخرى إلى مفهوم رئيسي في الرسالة إلى أهل رومية: ضرورة الإيمان. قال يسوع: «فَقُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ {المسيا} تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ» (يوحنا ٨: ٢٤).

الإيمان الذي تم الحديث عنه في رومية ١٠: ١٤ ليس إيمان عقيم وميت (راجع يعقوب ٢: ١٧، ٢٦)، بل هو إيمان حي وفعال ومطيع. أنظر إلى الآية ١٦ من النص الذي نحن بصدده، والتي تتحدث عن الذين ليس لهم هذا النوع من الإيمان: «لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ، لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ: يَارَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟».

الجدير بالذكر هنا أن رومية ١٠: ١٦ تستخدم كلمتي «أطاع» و«صدق/ آمن» بالتبادل (راجع أمثلة أخرى لذلك في يوحنا ٣: ٣٦[٥]؛ عبرانيين ٣: ١٨ و١٩). لنتأمل مرة أخرة في رومية ١٠: ١٦: «لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ **أَطَاعُوا** الإِنْجِيلَ، لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ: يَارَبُّ مَنْ **صَدَّقَ** خَبَرَنَا؟». ينسجم كلام بولس هناك بما قاله في أماكن أخرى عن التبرير بالإيمان. نخلص على أساس الإيمان، وهذا إيمان مليء بالحيوية والنشاط. كتب لاري ديسون قائلاً: «لم يكن ما أراد بولس توضيحه في الأصحاح ١٠ من الرسالة إلى أهل رومية أن يضع تباين بين البر بالإيمان وضرورة الطاعة؛ بل أن يميز بوضوح بين الاعتماد على الذات (أعمال الناموس) وبين الاعتماد على المسيح (طاعة الإيمان) للبر»[٦].

ما الذي تتضمنه «طاعة الإيمان» (١٦: ٢٦؛ راجع ١: ٥)؟ كان بولس قد تحدث عن التوبة (٢: ٤)، والاعتراف (١٠: ٩ و١٠)، والمعمودية (٦: ٣-٦)، والسير حسب الروح بدلاً من الجسد (٨: ٤). كل هذا مشمول في الخطوة الأخيرة من خطة الله.

(٥) العامل الأخير لهذه الخطة هو أن يدعو الشخص باسم الرب. تستهل الآيتان ١٤ و١٥ بالاقتباس التالي: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (الآية ١٣؛ راجع يوئيل ٢: ٣٢). ليس إيماننا مجرد قبول ذهني لحقائق ما، بل إستجابة من صميم القلب (الآيتان ٩ و١٠) للخبر السار عن يسوع - ويؤدي إلى رجوعنا إلى الرب وطريقه. لقد تحدثنا عما تشمله عبارة «يدعو باسم الرب» في علاقة مع ١٠: ١٣.

يجب أن نستعد الآن لإلقاء نظرة شاملة على خطة الله الكاملة:

(١) مأمورية إلهية
↓
(٢) الكرازة بالإنجيل
↓
(٣) الاستماع بالفهم والقبول
↓
(٤) إيمان مطيع
↓
(٥) يدعو باسم الرب

أوضح بولس أن رقم (٥) اعلاه لم يكن ممكناً بدون رقم (٤)، ورقم (٤) لم يكن ممكناً بدون رقم (٣)، وهلم جرا - حتى رقم (١). توجد هنا حقيقة أساسية وهي أن الذين كرزوا بالإنجيل كانت لديهم مأمورية إلهية. كان

---

[٤] جيم مكويقن في تفسيره بعنوان «The Book of Romans» من سلسلة «Looking Into The Bible Series»، صفحة ٣١٢.

[٥] يقول النص اليوناني في إنجيل يوحنا ٣: ٣٦: «الذي **يؤمن** بالابن له حياة أبدية، والذي **لا يطيع** بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله».

[٦] لاري ديسون في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Righteousness of God: An In-depth Study of Romans»، صفحة ٢٦٠ الطبعة المنقحة.

الله قد وضع هذه الخطة موضع التنفيذ، وهي خطة لكل من اليهود والأمم (الآية ١٢). هكذا كان الله قد دبر لخلاص إسرائيل.

خطة شخصية (الآيات ١٣-١٧)

هذه هي خطة الله لخلاص البشر. انها خطة كاملة، وقد تؤدي إلى خلاص كل نفس. ولكن لم تخلص كل نفس. لهذا نطرح السؤال المنعكس على عنوان هذا الدرس: قدم {لنا} الله خطة تتسم بالكمالية - ماذا حدث إذن؟ سنتحدث عن الإجابة على هذا السؤال بعد لحظات؛ ولكن قبل ذلك أريد أن أقدم تطبيقاً إضافياً عن الآيات التي درسناها قبل قليل.

ذكرتُ في ما سبق أن هذه الآيات تستخدم بالتكرار لتشجيع العمل الإرسالي. عندما يكون الحال هكذا، يكون التوكيد عادة على كلمة «يُرْسَلُوا»: «لا يكون هناك إرساليون إن لم نرسلهم {ويشمل هذا على الدعم المادي لهم}». ولكني قلتُ أن التوكيد في هذا الصياغ موضوع على توصية الله للناس بأن يعلموا ويكرزوا. أهذا يعني انه لا يوجد باعث للعمل الإرسالي في هذا النص - محلياً كان أم عبر البحار؟ كلا، يوجد في هذه الآيات دافع قوي للعمل التبشيري.

أنظر مرة أخرى إلى الشكل العام لخطة الله مع العلم بان هذه هي خطة الله الوحيدة لخلاص البشر. ذكرتُ في بداية هذا الدرس أني أحياناً أرجع إلى خطة (ب) أو (ج) أو (د). لا يوجد لله خطة (ب) أو (ج) أو (د) بما يختص بخلاص الضالين، بل له خطة (أ) فقط. وهذه الخطة هي: ينبغي تعليم الإنجيل لكي يسمعه الناس ويؤمنوا به ويطيعوه.

لقد ابتكر عالم الطوائف شتى أنواع الخطط التي من صنع الإنسان في محاولة لخلاص الضالين (بما في ذلك ما يسمى بـ«عمل الروح القدس المباشر {في الخاطيء}»). إن لم نحترز قد نكون مذنبين أيضاً بابتكار خطط بديلة. سمعتُ في العقود التي كرزتُ خلالها اقتراحات لعدة وسائل مضمونة انها تودي إلى المزيد من الإهتداءات ونمو الكنيسة. توجد لبعض هذه الوسائل إستحقاق، ولكن لا يجب أن ننسى أبداً حقيقة أنه في نهاية الأمر يأتي الإيمان نتيجة لسماع الكلمة. إن لم يتم تعليم الإنجيل لا يكون هناك إيمان، وبالتالي لا خلاص.

قبل بضع سنين كان «التبشير كاسلوب حياة» مثيراً للناس. لقد قرأتُ كتب عن هذه الوسيلة وحتى درستُها للطلاب. لهذه الوسيلة الكثير من الفوائد. انها قد تبني جسور بيننا وبين الآخرين مما يجعلنا نوصل إليهم الإنجيل. ولكني أخشي أن البعض يستخلص انهم يستطيعون تتميم المأمورية الكبرى بـ«السلوك المسيحي» فقط. صحيح أن الناس لا يرغبون في الاستماع إلى الرسالة التي نكرز بها عن المسيح إن لم يروا أن حياتنا مرتكزة على المسيح. ولكن الإيمان لا يأتي بمجرد رؤية شخص ما يحيا حياة مسيحية، بل يأتي من سماع رسالة عن المسيح. مهما كانت الوسيلة التي نستخدمها للوصول إلى الآخرين، لا بد في نهاية الأمر أن نوصل إليهم رسالة المسيح بالكلام.

لقد أوصانا الرب منذ وقت بعيد (متى ٢٨: ١٨-٢٠؛ مرقس ١٦: ١٥ و١٦). يجب أن تقدم لنا رومية ١٠: ١٤ و١٥ المزيد من الدافع لتنفيذ مأموريته. قال ديل هارتمان ذات مرة أنه «من إحدى الأهداف الأساسية للكنيسة هو أن تعمل على زيادة عدد الداخلين إلى السماء»[٧]. هل نحن نتمم ذلك الهدف؟

كان لليهود مشكلة (١٠: ١٦-٢١)

تحليل المشكلة (الآيتان ١٦ و١٧)

لنعود إلى الدافع الرئيسي لنص درسنا هذا: كان لله خطة تتسم بالكمالية لخلاص اليهود، ولكن للأسف رفض اليهود ان يسمعوا، ولم يؤمنوا، ولم يخضعوا ليسوع. تبدأ الآية ١٦ على النحو التالي: «لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ {سمعوا و} أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ ...» (الآية ١٦). تشير كلمة «ليس الجميع» فيَ هَذا السياق إلى اليهود. كانت العبارة «ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل»

[٧] ديل هارتمان، في موعظة ألقاها في إحدى كنائس المسيح بمدينة أوكلاهوما الأميركية في ١٦ نوفمبر سنة ٢٠٠٣.

تصريح مكبوح[٨] من قبل بولس إذ أن نسبة قليلة فقط من إسرائيل («البقية»؛ ٩: ٢٧) هي التي استجابت للإنجيل.

أوضح بولس أن هذا لم يكن مدهشاً: «... لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ: يَارَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟» (١٠: ١٦). يأتي هذا السؤال من الآية الأولى في الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء النبي، يصور هذا الأصحاح العظيم المسيا وكأنه الخادم المتألم. يفضل معظم اليهود التفكير بالمسيا كبطل منتصر قوي. لهذا السبب لم يؤمن أكثرهم أن الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء النبي هو تنبوء عن المسيا (راجع أعمال ٨: ٣٢-٣٤). هذا النوع من التحيز نفسه جعلهم يرفضون المسيا (يسوع) عندما جاء أخيراً (راجع يوحنا ١٢: ٣٧-٤١).

قدم بولس في الآية ١٧ نظرة شاملة سريعة للخطة الموضحة في رومية ١٠: ١٣-١٥، بقوله: «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله». كان ذلك خطة مثالية، إذن من الذي أفسدها؟ اليهود أنفسهم هم الذين أخطأوا إذ لم يستمعوا بجدية لرسالة يسوع. كان يسوع قد اقتبس أثناء حياته على الأرض من إشعياء ٦: ١٠: «لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ» (متى ١٣: ١٥). كان بعض اليهود مثل الصبي الذي يضع يديه على أذنيه لكي لا يسمع زميله[٩]. وكان آخرون مثلي عندما انشغل جداً فلا اسمع. مهما كان السبب، لم يسمع اليهود ونتيجة لذلك لم يؤمنوا.

الرد على الاعتراضات (الآيات ١٨-٢١)

كان بولس يعرف انه من الصعب أن يعترف اليهود بانهم هم الذين أخطأوا مما جعل الله يرفضهم. لهذا عبر عن الاعتراضات التي قد يقدمها البعض. الاعتراض الأول هو أنه ربما لم يحصل اليهود على فرصة لكي يسمعوا: «لكِنَّنِي أَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا؟ ...» (رومية ١٠: ١٨). استجاب بولس قائلاً: «بَلَى! ...»، ثم اقتبس نص آخر: «... إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَإِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ أَقْوَالُهُمْ» (الآية ١٨). جاء هذا الاقتباس من المزمور ١٩: ٤. ويشير السياق إلى الشهادة الجامعة للشمس والقمر والنجوم. استخدم بولس لهجة المزمور ١٩ ليعلن أن الكزارة بالإنجيل أصبحت تنتشر مثل نور الأجرام السماوية.

لا تعني العبارتان «إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ» خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَ«أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ» أن الإنجيل قد بلغ جميع أرجاء العالم بحلول الزمان الذي كتب فيه بولس الرسالة إلى أهل رومية. فقد تحدث بولس في وقت لاحق من هذه الرسالة إلى رغبته في الذهاب إلى اسبانيا (رومية ١٥:٢٨) وهي دولة لم يكن اسم المسيح قد «سُمِعَ» فيها بعد (رومية ١٥: ٢٠). الهدف من المصطلح المستخدم في رومية ١٠: ١٨ هو ليثبت أنه كان قد أُتِيْحَت لليهود الفرصة ليسمعوا الإنجيل. كان معظم اليهود في ذلك الزمان يسكنون في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وكان بولس نفسه قد كرز بالإنجيل في معظم أجزاء تلك المنطقة.

الاعتراض الذي توقعه بولس هو انه مع أن اليهود سمعوا الإنجيل، إلا انهم لم يفهموا ما كان يحدث. لهذا السبب لم يتحملوا المسؤولية، حسب المنطق البشري: «لكِنِّي أَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ؟ ...» (الآية ١٩). كانت إجابة بولس لهذا السؤال هي انه لا بد انهم كانوا يعرفون ويفهمون لأن كل ما حدث تم التنبوء به في الأسفار المقدسة.

قال بولس: «... أَوَّلاً مُوسَى يَقُولُ: أَنَا أُغِيرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُمْ» (الآية ١٩). جاء هذا الإقتباس من تثنية ٣٢: ٢١. كان ذلك جزء من اتهام بولس للإسرائيليين بسبب عدم شكرهم وعصيانهم. تنبأ موسى قائلاً أن الله كان سيستخدم أمم غريبة ليتضع إسرائيل ويعاقبه. رأى بولس في عبارة «لَيْسَ أُمَّةً» في هذه الآية مفهوم يشبه ما ورد في هوشع ١: ١٠. المشار إليهم بالعبارة «لَيْسَ أُمَّةً» في رومية

---

[٨] التصريح المكبوح: تصريح مقصود به أن يتصور الفكرة على نحو أضعف أو أقل مما تقتضيه الحقيقة (من قاموس منير البعلبيكي بعنوان «المورد» {قاموس انكليزي - عربي}. طبعة سنة ١٩٩٥، صفحة ١٠٠٩).

[٩] استخدم مثال توضيحي مناسب مع المنطقة التي تسكن فيها. بالنسبة للمنطقة التي أعيش فيها، قد أشير إلى المراهقين الذين لا يسمعون الآخرين عندما يستمعون إلى أغاني بصوت عال بالسماعة التي تُوضع على الأذان.

١٠: ١٩ هم أنفسهم الذين قيل عنهم «لَسْتُمْ شَعْبِي» في رومية ٩: ٢٦ – أي بعبارة أخرى، هم الأمم. كان اليهود يعتبرون الأمم «غبية» {أي «بلا فهم»}. (راجع تفسيرنا لرومية ٢: ١٩).

تحدث بولس بالمزيد في الأصحاح التالي عن الكيفية التي خطط بها الله ليحث اليهود على الطاعة بقبوله للأمم. (راجع رومية ١١: ١١، ١٣، ١٤). قال هنا ببساطة أن قبول الله للأمم لا يجب أن يدهش اليهود لأن موسى كان قد تنبأ به. قد يكون هناك أيضاً تضمين في كلمة «غبية». إذا كان الأمم الذين قيل عنهم «غبية» أي «بلا فهم» استطاعوا أن يفهموا خطة الله، إذن كان ينبغي لليهود الذين كانوا مباركين بمعلمين مرسلين من قبل الله أن يفهموا. لم يكن لهم عذر.

بعد ذلك اقتبس بولس مرة أخرى من العهد القديم: «ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ: وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي» (١٠: ٢٠). جاء هذا الاقتباس من إشعياء ٦٥: ١. ربما كانت هذه الكلمات تشير إلى عصيان إسرائيل في النص الأصلي؛ ولكن بولس وجد فيها مبدأ ينطبق على الأمم. أعاد بولس هنا الحقيقة التي تم تعليمها في ٩: ٣٠ الأمم «الَّذِينَ لَمْ يَسْعَوْا فِي أَثَرِ الْبِرِّ» ولم «يطلبوا الله» هم الذين وجدوا الاثنين كلاهما لأنهم سمحوا لرسالة الإنجيل أن تلمس قلوبهم.

إذا كان اليهود قد حصلوا على فرصة ليسمعوا الإنجيل، وإذا كان عليهم أن يفهموا خطة الله، إذن ما هي المشكلة؟ المشكلة التي تم التعبير عنها هي ببساطة أن اليهود كانوا شعب عنيد وعاصي. استخدم بولس اقتباس آخر من إشعياء : «... طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ» (١٠: ٢١). جاء هذا من إشعياء ٦٥: ٢ (الآية التي تلت ما اقتبسه بولس قبلاً). اقرأ تاريخ الأمة الإسرائيلية. انها قصة عدم إيمان وعصيان. كان الأسرائليون يسحقون قلب الله دائماً وأبداً. كما فعلوا في الماضي هكذا أيضاً فعلوا في زمان بولس بما يختص بخطة الله لفدائهم.

هل كان هناك أي رجاء لليهود؟ أرجو ألا تتغاضى عن هذه الكلمات الواردة في الاقتباس من إشعياء: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ ...». تم تصوير الله كأب صبور ومحب بيديه مبسطتين مستعد ليرحب بأولاده العاصين. إذا رجع اليهود إلى الله وقبلوا خطته، فانه سيحتضنهم – ولكن سنقول المزيد عن هذا عند دراستنا للأصحاح ١١ من الرسالة إلى أهل رومية.

الخلاصة

كان الله قد أوجد خطة (خطة تتسم بالكمال) لخلاص الجنس البشري[١٠]. ولكن للأسف لم يؤمن اليهود ولم يطيعوا آنذاك، ولا يفعلون ذلك الآن. ولكن لنحترس بما يختص بمد أصبع الاتهام نحو اليهود. علينا أن نطبق هذا تطبيق شخصي. يجب أن يطرح كل منا السؤال: «هل سمعتُ الإنجيل ... وآمنتُ بالمسيح ... أطعتُ وصايا المسيح؟» قال بيل هارتمان مؤخراً أن الشيء الوحيد في الكون الذي يوجد حيث لا يريد الله له أن يكون ويعمل ما لا يريد الله له أن يعمل هو الإنسان[١١]. تسري الشمس والقمر والنجوم في الفضاء في المدارات التي وضعها لها الله. حتى النباتات والحيوانات تتصرف بالطريقة التي خلقها الله أن تتصرف بها. الإنسان وحده هو الذي لم يقبل أن يكون ما أراد الله له أن يكون ويعمل ما لا يريد الله له أن يعمل. ماذا عنك؟ هل أنت ما أراد الله أن تكون لك؟ وهل تعمل ما يريد الله لك أن تعمل؟

---

[١٠] يمكنك مراجعة تلك الخطة.

[١١] موعظة ألقاها دال هارتمان في إحدى كنائس المسيح بمدينة أوكلاهوما في ربيع سنة ٢٠٠٥.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠